قصائد

كقُطْفِ عنبٍ لامسَ الأرض

لا زلتُ أحاول عَدّ أصابع الشمس

مصعب ابو توهة

إحداث معلّقة

لو كانت السنة أقلّ من اثني عشر شهراً،
لعشتُ سنيناً أطول،
لاحتفلت أكثر بأيام ميلادٍ
وبرؤوس سنةٍ مضاءةٍ بفوانيس
شارعنا في المخيّم.

لو كانت الحروف تسعةً وعشرين حرفاً،
لكانتْ شبابيكُ بيتنا أكثر
لزاد عددُ كلمات قصائدي وقصصي
ولزادَ عددُ الكتب على رفوف مكتبتي.

لو كانت الفصول خمسةً،
لرأيتُ الأرض بشكل أفضل،
ولكان للزهور ألوانٌ جديدة،
لربّما ألوانٌ ساسمّيها:
عطلوتو، مربتون،
اورارض، وزحشتري.

بطاقة

شاعر وكاتب فلسطيني من مواليد غزة عام 1992، يكتب باللغتين العربية والانكليزية. أسّس عام 2017 «مكتبة ادوارد سعيد العامة» في غزة. نشر قصائده في مجلات شعرية متخصصة، وكان شاعرا زائرا في قسم الادب المقارن بجامعة هارفارد الاميركية بين عامي 2019 و2020. يصدر ديوانه الاول باللغة الإنكليزية عن دار نشر City Lights في سان فرنسيسكو في إبريل/ نيسان 2022 بعنوان «أشياء قد تجدها مخبأة في أذني».

لو كانت الجَهاتُ خمساً،
لَوجدتُ وطني،
لَوجدتهُ يبنيّ نفسه بعَلَمِه
ويُركّبُ حروفَ اسمه من حرفٍ واحد
ويعزفُ نشيده من كلّ حجر
يسقط على وتر الغبار.

■■■

لو كنت أعرف

أتسلل إلى حديقة بيتنا
أستريح النظر إلى فنجان قهوتي عبر النافذة.
لا تزال آثار فمي على الفنجان
الأبيض.
لا تزال الساعة تدور بعقاربها
لا تعرف أنها ستُداوم على مشاهدة
وجوهٍ غير وجوهنا.
لن يعرف شعورَها سوى الجدار.

قلمي لا يزال على مقعد الكتابة،
والصفحات البيضاء تكاد تسقط،
يُمسكها الصَمتُ الثّقيل كلّما هبّت ريحٌ
صفراءُ من جهة الحقول.
لو كنتُ أعرف، لكتبت على الورقة الأولى:
بيتٌ، بئر، بُذور السرو والصنوبر،
علّ البئرَ يسقي البُذور ويصير بيتُنا
حديقةً أو غابةً
أشاهدها من بعيدٍ
من مخيّم اللّاجئين.

■■■

جدّي، بساط الريح

في الساعة العاشرة بلا دقائق،
هبطتْ طائرة على جدار غرفتي،
حطّت بثقلها على صورةِ جَدّي
بعجلاتها الخشبية،
سرقت اللونين الأبيض والأسود،
نامتْ على سريري
وتلحّفتْ بنظراتي الخائفة.
صحوتُ فوجدتُ تذكرةً لي
على السرير
بدون وجهةٍ أخيرة.
مسموحٌ لي اصطحابُ حقيبةٍ واحدة:
صورةُ جدي،
بساطُ ريحٍ يحمل الطائرة.

■■■

لماذا تبكي العينان معاً؟

لماذا تبكي العينان معاً؟
عندما أفقد قدماً،
تبكي عيناي.
عندما أضيّع مصروفي
اليوميّ في الشارع التُرابي،
تدمع عيناي.
عندما أرنّ جرس بيتنا ولا يردّ أحدٌ،
تبكي عيناي. أنسى
أنّني وُلدتُ وحيداً.
عندما أتّصلُ بصديقي ولا يردّ،
أبكي كثيراً،
أنسى أنه مات تحت ركام بيته.
لكن لماذا عندما أفقد عينيّ، لا يبكي أي شيء
في جسدي؟
هل جفّت الماءُ في كلّ فُروع جسدي؟

لم يبقِ غيرُ ساعة الحائط التالفة ليلاً،
بكتْ وقتاً:
ثانيتين
أو ثلاثاً!

■■■

القطار

عندما تفتح فمَكَ لتبتسم،
تأكدْ أن النوافذ البيضاء نظيفة.
وإلّا، فضعْ ستائر أصابعك فوقها
حتّى تسلم من عواصف التهكم.

تلك المحطةُ حيث الدرج الطويل،
امْشِهِ على مَهَلٍ، فقد تدوس دمعةً
سقطت ولم تجفّ بَعْدُ،
او تدوس أثَرَ نَعلٍ لرجُلٍ لن يمشي كثيراً
بعد اليوم.

القطار يصفر كلّ مرّة، يعتقد أنّ حبيبته
هناك تنتظر وأنّه قد وصل محطته النهائية.
هو أصلاً لا يذكر متى وُلد وإن كان كبرُ.
الكلّ يركبه ليلقى صديقاً أو ليذهب إلى
حفلة عيد ميلاد،
لكنّ هوَ لا عيدَ لهُ ولا مواعيد.

القطار ذو العيون الأماميّة وعشرات العيون
الجانبية
ينظر ولا يرى.
ظلامٌ كثيف يكسوه تحت الأرض
بمرّ ببعض الإعلانات المُضيئة،
يتمنّى لو يستريح قليلاً ليتنفّس الهواء
قرب النهر،
ولو يتوقّف صوتُ السائق عن إعلان الوجهة
القادمة
كلّ مرة.

«أين وجهتي أنا؟ أين عيد ميلادي؟
سئمتُ شرب الكحوليّات.
أريد أن أذوق رشفةً من الثلج
في حانات القرية».

أمّا أنا، فسأذهب إلى دائرة القطارات
وأطلب منهم إذناً بأخذ القطار
إلى سكّة رملية في الحقل المزروع
ذرةً وفراولةً وباذنجان
ونشرب سيجاراً قرب نافورة الماء
فقطار العمر، كما قال لي جدّي،
يحبُّ الخرير لأنّه يذكّره بأصوات سمعها
قبل أن يغادر رحم أمّه.

■■■

بينما هو ممعنٌ في الفَناء

تحرّمُ البيوتُ حقائبَها.
يضرب الغبارُ له خيمةً في زاوية.
والصدأ يحطّ بأثوابه المهتّرئة
على الصّنبور والملعقة.
يخطف من الماء أرجوحته الناعمة
بينما الهواءُ ينام على أرض الملعقة
الخشنة.
لا مرآة إلّا في النهار.
كلُّ شيءٍ في الغرفة يستر عورته.
لا عصفورَ ولا مذياعَ يلفت انتباهَ الأشياء.

الآن، كلُّ يمضي وقتَه في تتبُّع اختراع غيره
بينما هو ممعنٌ في الفَناء.

■■■

ميلادي التاسع والعشرون

كيف السماء؟
كأس شاي سُكّرُه خفيف.
وكيف البحر؟
كسريري في العِلّية عندما أنام مفتوح
العينين.
وكيف المساء؟
كقهوة ثقيلة.
وكيف الصباح؟
كصوت فيروز عندما تستيقظ من نومها.
وكيف الغيوم؟
كورق الميرمية في كأس الشاي.
وكيف رائحة الهواء؟
كقُطْفِ عنب لامسَ الأرض عندما دخلت
قطفَ بستانَ الجيران.
وكيف الورق الذي تكتب عليه؟
كسقف بيتنا عندما اتذكّرك.
وكيف أنت؟
كما كنتُ قبل أن أولد.

كتب المؤرّخ يوماً:
«اليوم هو السابع عشر من نوفمبر.
نسيتُ السنة.
لا يهمّ.

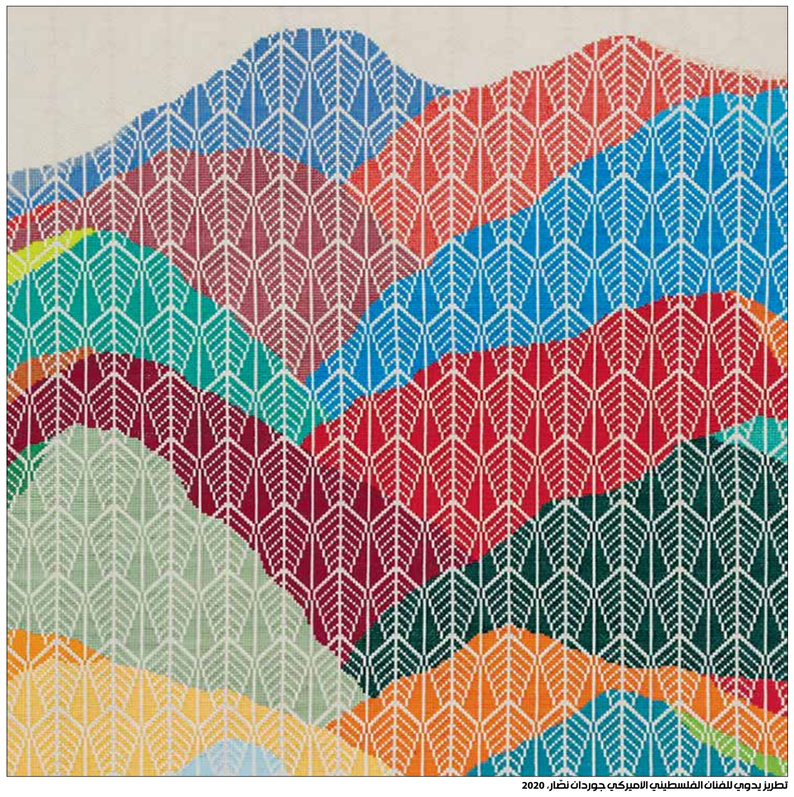

تطريز يدوي للفنان الفلسطيني الاميركي جوردان نصّار، 2020

لن يقدّم ذلك أو يؤخّر.
أمطرت الغيوم قطرات وجهها في البحر،
والتقطت السماءُ صورةً للأرض بعد
البرق،
علّقتْها على جدران الأنهار البعيدة،
لا يصلها صوتُ الحجارة وهي تُثرثر
على الجدران
أو ضوءُ شاشات عرض المباريات في
الشارع.

(شاعر من فلسطين)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

إطلالة

حين كانت مرّةً مرآةً صقيلة

تعويذة للمرور في شوارع بغداد

لشكل المدينة اليوم اتّصال تاريخي ببنائها القديم، حيث نُبِيْتْ بشكل عرضيّ فوق النهر، وخسرت بذلك فرصة ان تحاذي شوارعها نهر دجلة

حسن اكرم

مَن سيرضى بالمدينة البطيئة هذه، مَن سيرضى ببغداد؟
ما لا يعلمه صديقي الذي سيحزم امتعته الآن لزيارة بغداد، أنّك في العراق ستفقد أمرين: صبرك ووقتك، فتلك الأشياء ليست ملكاً لأصحابها، بل ملك الشارع والزحام.
إنّ زحام المدينة وتشوّه أبنيتها، وضيق شوارعها، إضافة إلى صوت مزامير السيارات والجوّ المُغبّر ذاك، ستجعلك حتماً شخصاً عراقياً بالضرورة وجاهزاً للعراك. لشكل المدينة اليوم اتصال تاريخي ببنائها القديم، حيث بُنيتْ بشكل عرضيّ فوق النهر، وخسرت بذلك فرصة أن تحاذي شوارعها نهر دجلة، حيث غالباً ما تكون ظهور البنايات إلى النهر، ووجوهها إلى الناس. فالمدرسة المستنصرية مثلاً، وبلدية الدولة القديمة (القشلة)، تُعيق لقاء الشارع بالنهر، وحتى لو مررت بـ«شارع النهر» نفسه، لن ترى النهر أبداً، لأنّه محاط بالجدران.
وهذا ما سيفقدك فرصة أن تتأمّل النهر وأنت في الزحام. وفي «إحصائية» أجريتها في أحد أيام بغداد المشمسة، حيث وقفت مع ساعتي اليدوية تحت جسر الشهداء، أعدُّ الدقائق التي يحتاجها المواطن العراقي للمرور من الجسر، تبيّن لي أنّ المرء يحتاج ركوباً إلى ثلاثين ثانية كي يعبر الجسر في سيارة مسرعة، بينما يمشي المترجّل فوق الجسر خلال دقيقة ونصف على الأغلب. وهذا الوقت القصير لن يترك لك أن تستفيد من صبر النهر وحكمته. اذكر سدهارتا الذي عرف السرّ وحدّثنا عنه، حين لازم النهر الذي وصل إليه، وصار ينصت له، حتى حدّثه عن الحكايات كلّها، ونال السكينة المنشودة.
يبدو أنّك إذا راقبت دجلة لساعات متواصلة يمكنك أن تنصت لحكاياتها، أو أن تنصت هي لحكايتك، وتتاح لكما الفرصة أن تتعاملا كصديقين متحابّين.
فقد قال أبو عبد الله، المعروف بابن بطوطة، عن بغداد قبل أن تعرف هذه المدينة زحام اليرموك: «ولبغداد جسران اثنان معقودان، والناس يعبرونهما ليلاً ونهاراً، رجالاً ونساء فلهم في ذلك نزهة».
والنهر صديق ثابت لا يهجر ولا يلوي الذراع، لا يغدر ولا يفشي الأسرار، كالإسفنجة يمتصّ غضبك وسمومك.
وهذا السرّ في الماء، يقودني لتذكّر سكّان سريلانكا، ذلك البلد الذي يطلّ على آخر نقطة في العالم، حيث يبدأ المحيط الهندي، لنجد أنّ ذلك أثّر مليّاً على فلسفة الحياة اليومية عندهم، وخيارات الأديان والطقوس لديهم، فتجد الرجل يكتفي بقماش واحد، ومن الشّعر ما قصر، هادئ الطباع، يتأمل أكثر مما يأكل، يرقد أكثر مما يراقب، ويقترب من العشب وربما يُحادثهُ أكثر مني أنا العالق في الزحام.

> حتى لو مررت بـ«شارع النهر» نفسه فلن ترى النهر

فالخيار الآن أحد اثنين: إمّا أن يُعاد بناء المدينة بشكل موازٍ للنهر، لتصبح أمّة أقل رغبة في العراك والتناحر، أو أن يعودوا بنا إلى اللحظة التي وصلها بها ابن بطوطة؛ حيث كانت بغداد مرآة صقيلة لا يشوبها الزحام.
«إلّا دجلتها التي بين شرقيها وغربيها كالمرآة المجلوّة بين صفحتين، أو العقد المنتظم بين لبّتَين. فهي تردها ولا تظمأ، وتنطلع منها في مرآة صقيلة ولا تصدأ. والحُسن الحريمي بين هوائها ومائها ينشأ».

(كاتب من العراق)

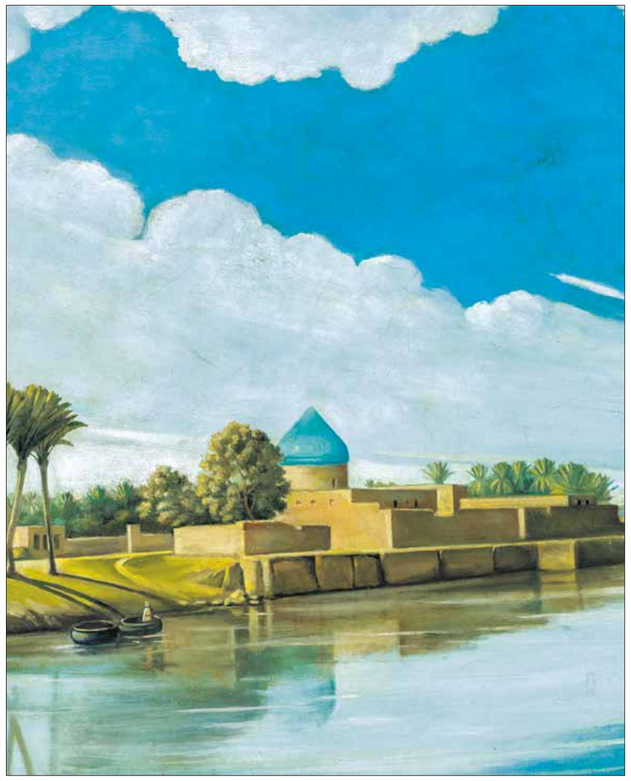

«بغداد» لـ عبد القادر الرسام، 1920

متابعة

لوحة غوستاف غيوميه عادت إلى وطنها الأمّ

المجاعة في الجزائر بعد أربع سنوات

عادت لوحة المستشرق الفرنسي موخّراً إلى «متحف قسنطينة الوطني» بعد اربع سنوات في فرنسا أخضعت خلالها لعملية ترميم

الجزائر ـ محمد علاوة حاجي

بين سنتَي 1865 و1868، عاشت الجزائر، التي كانت قد مرّ ثلاثون عاماً تقريباً على احتلالها من قبل الفرنسيّين، واحدةً من أسوأ الكوارث في تاريخها على الإطلاق؛ إذ شهدت البلاد مجاعة استمرّت ثلاث سنوات وأودت بحياة أكثر من 500 ألف جزائري، وهو رقمٌ يُمثّل خُمس عدد السكّان الذي لم يكُن، حينها، يتجاوز ثلاثة ملايين نسمة.
كان الرسّام الفرنسي غوستاف غيوميه (1840 - 1887) قد غادر الجزائر قبل سنةٍ واحدة من اشتداد المجاعة؛ إذ وصَل إليها صدفةً مطلع ستّينيات القرن التاسع عشر بينما كان متّجهاً إلى إيطاليا، فقرّر العودة إليها مُجدّداً عام 1862، وأقام فيها متنقّلاً بين عددٍ من مدنها الصحراوية، مثل المسيلة وبوسعادة وبسكرة والأغواط، حتى عام 1884، إلى جانب كتاب له بعنوان «لوحاتٌ جزائرية» (صدر عام 1888) جمعت فيه مقالاته التي نقل فيها مشاهداته في البلد الذي كانت تحتلّه فرنسا، حضرت الجزائرَ في سبعة وأربعين لوحةً تشكيلية رسمها غيوميه في فترات مختلفة، وجسّد فيها مشاهد من يوميات الجزائريّين في الصحراء، بأسلوب واقعي لا تغيب عنه اللمسة الاستشراقية.
واحدةٌ من أبرزِ تلك اللوحات تحمل عنوان «المجاعة في الجزائر»، وقد رسمها غيوميه عام 1869، بالحجم الطبيعي (قرابة ثلاثة أمتار ونصف على مترين ونصف)، فُستلهماً لوحةً «مشاهد الإبادة في سيو» (1824) لمواطنه أوجين دولاكروا (1798 – 1863). وفيها جسّد مشهداً قاسياً من مشاهد المجاعة التي تركها وراءه.
على خلاف معظم لوحاته التي تحتفظ بها متاحف فرنسية، ظلّت «المجاعة في الجزائر» في الجزائر؛ حيثُ احتُفظ بها «متحف قسنطينة الوطني». لكنّ «جمعية أصدقاء متحف الفنّ والتاريخ» في مدينة لا روشال الفرنسية كشفت في 2018 أنّ اللوحة تعرّضت إلى أضرار بالغة؛ حيث اختفى إطارُها، وتمزّق قماشها، وفُقدت قطعةٌ من الرسمة، وظهرت شُنَباتٌ وآثار عليها بسبب الماء والرطوبة، فضلاً عن بعض الاختلالات التي ربّما يكون سبّبها ترميمٌ أُجري عليها.
وقالت الجمعية إنّ غيوميه كان الفنّان الفرنسي الوحيد الذي «جسّد تلك المرحلة المأساوية من تاريخ الاستعمار»، مشيرةً إلى أنّه عرض لوحته في فرنسا لأوّل مرّة عام 1869 «في محاولة منه لاستدعاء تعاطف الرأي العام الفرنسي مع ضحايا الجفاف وسياسة التفقير التي انتهجها الاستعمار الفرنسي».
وكانت الجمعية، حينها، تحضّر لمعرض استعادي بعنوان «جزائر غوستاف غيوميه» هو الأوّل منذ 1899 (أقيم ابتداءً من حزيران/ يونيو 2018 في عدد من المدن الفرنسية واستمرّ عاماً كاملاً). وقد أطلقت حملةً عبر الإنترنت بهدف جمع خمسة وعشرين ألف يورو لترميم اللوحة التي أُسندت إلى المختصّة في ترميم الأعمال الفنّية باسكال بريتيلي.
أثار ما كشفته الجمعيةُ أسئلةً كثيرةً في الجزائر عن سبب تكفّل جمعية فرنسية بجمع التبرّعات لترميم لوحةٌ تُعدّ ملكاً ثقافياً جزائرياً، وعن ظروف حفظ اللوحات الفنّية في المتاحف الجزائرية، وأيضاً عن ظروف مغادرة اللوحة البلاد، خصوصاً أنّ وزارة الثقافة الجزائرية بدت على غير علم بالقصّة برمّتها.

> آثارت اللوحة أسئلة عن ظروف حفظ الأعمال الفنية في متاحف الجزائر

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

زائران ينظران إلى لوحة «المجاعة في الجزائر» في معرض «جزائر غوستاف غيوميه» بروبه، شمال فرنسا، 2019 (Getty)

فعاليات

بين 13 و22 كانون الثاني/ يناير المقبل، يقام **معرض الدوحة الدولي للكتاب** كأوّل تظاهرة خاصة بالكتاب تقام في المنطقة العربية خلال العام الجديد بمشاركة دور نشر من مختلف البلدان العربية، إضافة إلى بلدان اجنبية. هذه هي الدورة الحادية والثلاثون من المعرض، وسوف يكون شعارها **العِلم نور**.

اليوم وغداً، تقام أوّل سلسلة عروض لمسرحية **نموت عليك** في «المسرح البلدي» بتونس العاصمة. العمل يجمع الثنائي **لَمين النهدي** (اداء)، و**المنصف ذويب** (نصّاً وإخراجاً)، وقد سبق لهما التعاون في اعمال ضمن المسرح الاجتماعي والسياسي الساخر، مثل **المكي وزكية** و**في هاك السردوك نرتشو** خلال التسعينيات، قبل ان يقدّما مشاريع بشكل منفصل لم تحقّق نجاحات مماثلة.

يُختتم اليوم «المهرجان الدولي لسينما المقهى» الذي تقتصر دورته هذه على عروض رقمية، ويقام عادة في مدينة تازة المغربية. إلى جانب العروض، يتضمّن المهرجان ثلاث ورش: من **الاقتباس إلى السيناريو** يديرها **محفوظ عبد الخالق**، و **ورشة التحليل السينمائي حفيظ سفرو**، و **ورشة المونتاج خضر حمداوي**.

لو ان شاعراً في ليلة شتاء، عنوان امسية تنظّمها «جمعية عشاق الكتب بسوسة»، بداية من الخامسة من مساء اليوم، في «الفضاء الثقافي لا تيبليه» في مدينة سوسة التونسية. تنطلق الامسية من نقاش حول عمل للكاتب الإيطالي **إيتالو كالفينو** بعنوان **لو ان مسافراً في ليلة شتاء** تليها مجموعة قراءات شعرية.